مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة بتيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 07/ العـدد: 01/ جوان (2023)، ص.244/237

القيم التربوية والدينية من خلال أغاني الفن البدوي
الشيخ الميلود الفيالاري أنموذجا
Education and religious values through songs of Bedouin art
Cheikh El Miloud Elvialari as a model

د. نبيلة بلعبدي
n_belabdi@yahoo.fr
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
(الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2022/10/22 تاريخ القبول: 2023/04/27 تاريخ النشر:2023/06/02

ملخص:
تزخر الجزائر بتنوع فني وثقافي كبيرين، وفن الغناء البدوي من أقدم الفنون وأبرزها عبر فيه الفنان عن ذاته وعن مجتمعه، والمتأمل للقصائد المغناة يلمح أنها من أجود الشعر فنيا وأن موضوعها تربوي وديني يسهم في زرع القيم وتهذيب النفس ويدعو إلى التمسك بالدين الإسلامي وممارسة شعائره والمحافظة على الهوية الوطنية التي حاول الاستعمار طمسها.
والفنان الشيخ الميلود الفيالاري من الفنانين الملتزمين الذي جعلوا من أداء الكلمة الموزونة رسالة صادقة مقدسة تسهم في إصلاح المجتمع، فظهر بزيه البدوي الأصيل معبرا عن الهوية الجزائرية، وجاءت مواضيع قصائد الشعراء الذين كتبوا له نصحا وإرشادا للمتلقي كالدعوة إلى طاعة الوالدين وإقامة الصلاة وتذكر الموت وصون الوطن.
الكلمات المفتاحية:القيم؛ الدينية؛ التربوية؛ الفن البدوي؛ الوالدان؛ الوطن؛الميلود الفيالاري

Abstract:
Algeria is rich with its great artistic and cultural diversity, and the Bedouin art of singing is one of the oldest and most prominent arts in which the artist expressed himself and his community. They aimed to preserve the national identity that the colonialism tried to obliterate.
The artist CheikhElMiloudElvialari is one of the bedouin committed artists who made the weighted word a sincere and sacred message that contributes to the reform of the society according to the islamic values and the nationalist identity.
Keywords: *Values; religious; educational; Bedouin art; parents; homeland; El MiloudElvialari.*

مقدمة:
لطالما دلّت الفنون بكل أشكالها على ذوق الأمة وتحضرها، و الأغنية التي تمتزج فيها الأشعار الموزونة بالألحان والآلات الموسيقية هي نوع من الأدب يعبر عن أغوار النفس يحق لنا أن نبحث بين طياتها على المستوى الفكري للمجتمعات من خلال دراسة مضامينها الاجتماعية وتراكيبها اللغوية والأدبية وإيقاعاتها الصوتية والموسيقية أو بالأحرى عن الرسالة التي تؤديها في المجتمع.
ومنطقة الونشريس معروفة بفنها البدوي الأصيل الذي يشترط في أدائه الظهور بالزي البدوي الأصيل المعبر عن الانتماء لهذه الأرض العريقة الغنية التي لم يغيرها المستعمر رغم محاولاته المتكررة، إضافة إلى مصاحبة آلات

موسيقية معينة كالقصبة والقلال، والفنان البدوي لا يسمى شيخا إلا إذا أدى قصيدة شعبية موزونة ذات فنية عالية ومضمون هادف يسهم في تهذيب الذوق، واستحسنها المتلقي ورددها في مناسباته العائلية والدينية.فماالدافع وراء ارتباط الفن البدوي بالقصيدة الشعبية؟ وما غرض الفنان من اختيار مواضيع محددة بدقة في الفن البدوي؟

إذا بحثنا في لفظة "فن" في أغلب المعاجم نجدها تطلق على ما يساوي الصنعة وهي تعني في قاموس الفلسفة "مجمل الوسائل والمبادئ التي يقوم الإنسان بواسطتها بإنجاز عمل يعبر عن مشاعره وأفكاره، فالعمل الفني تجسيد لفكرة ما بأحد الأشكال التعبيرية"[1].وعليه تشترك التعاريف في مفهوم جودة العمل المعبّر عن مكنونات النفس البشرية المفعمة بالأحاسيس بغرض إيصال فكرة ما دعمها أو رفضها، أو وصف حالة شعورية معينة يريد الفنان إظهارها لغرض ما.

والفنان الواعي يؤدي رسالة هادفة في المجتمع ويجعل من فنه وسيلة لتربية الذوق وتهذيبه، يحافظ من خلاله على مبادئ وهوية مجتمعه لأن الفنون بشكل عام ولا سيما الموسيقى والغناء لهما تأثير كبير على المتلقي ولهماإسهام في إذكاء الشعور بالوطنية وزرع القيم الدينية والتربوية.

وعليه الأغنية حلقة وصل لمشاعر الناس التي تتوافق ومشاعر الفنان يترجمها عن طريق الكلمة المعبرة واللحن الشجي "مما يجعلها تتغلغل داخل الإنسان الشعبي، هي نتيجة حصاد المهارة الفنية الفردية من خلال عمل عدد غير محدد من المغنين الشعبيين الذين أسهموا في فترات زمنية متواصلة في صقلها إلى أن وصلت إلينا في شكلها الحالي"[2].

وإذا بحثنا عن الفن البدوي الجزائري نجد أن بوادره ترجع للشاعر مصطفى بن إبراهيم (1800 ـ 1867) وأنه يعكس أصالة الوطن وتراثه وله أعلام معروفين أمثال الفنان محمد الغوايش المعروف بالشيخ حمادة وقد ذاع صيته بفنه الأصيل وسجل أغنية مع الموسيقار المصري محمد عبد الوهاب في ثلاثينات القرن الماضي[3] ، وأحمد المازوني، والشيخ المداني ...الذين عبروا عن مشاعرهم وانشغالاتهم وأرّخوا للثورة الجزائرية، وفضحوا المستعمر الفرنسي ، ويوجد فنانون ملتزمون حرصوا على الأداء النظيف والقصيدة الهادفة التي تسهم في تقويم السلوك وتربية النشء على القيم الإنسانية فالأغنية بشكل عام ولاسيما الأغنية البدوية الجزائرية "شأنها شأن سائر أشكال التعبير الشعبي السابق ذكرها، لا يتغنى بها لمجرد التسلية كما هو الحال في الأغاني التي نسمعها في الإذاعة المرئية وغير المرئية، بل هي تعبير صادق عن وجدان الشعب، وشكل أدبي يودعه الشعب قيمة الحضارة في انفعال صادق"[4]. ولطالما عبرت الأغنية عن أفراح الشعب وأحزانه وآماله وخيباته في غياب وسائل الإعلام، والأغاني الثورية على سبيل المثال سجلت الأحداث وشحذت الهمم وكفكفت دموع الثكالى واليتامى، ومثلها أغاني الفن البدوي التي سارت على النهج نفسه.

ويُقصد بالأغنية الشعبية "تلك المقطوعات الشعرية التي تُغنَّى بمصاحبة الموسيقى في أغلب الأحيان، والتي توجد في المجتمعات التي تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشفاهية من غير حاجة إلى تدوين أو طباعة. هذا يعني أن الأغنية الشعبية أغنية يتم حفظ ألفاظها وكلماتها دون كتابتها في معظم الأحيان"[5]. إذن هي تنتقل بالمشافهة وعموما هي أقل درجة من قصيد الشعر الموزون فهي مجرد مقطوعات شعرية أو أهازيج لا تلتزم بصرامة الكتابة الشعرية والصورة الفنية، ومع ذلك كانت متنفس الشعوب يجدون فيها راحة وتسلية وهم يؤدون أعمالهم كالحصاد أو النسيج، وقد يعبرون من خلالها عن مشاعرهم في مختلف المواقف.

وإذا تحدثنا عن الفن البدوي فهو شكل تعبيري فني غنائي قائم بذاته، يختلف عن الأهازيج والأغاني الشعبية في اشتراط أداء القصائد الموزونة الغنية بالصور الشعرية والهادفة وقد عُرِف عند سكان البدو في الجزائر، ولطالما ارتبط الفن البدوي بالأصالة لدلالته على العراقة والتجذر في المجتمع البدوي الجزائري، فمن ناحية الشكل يظهر الفنان البدوي باللباس الذي تعكس الهوية الجزائرية، وأما الآلات الموسيقية التي تصاحب هذا الفن مثل القصبة و القلال فهي مصنوعة محليا ومتوارثة عبر الأجيال غير وافدة إلينا مثل بعض الآلاتوهو يختلف عن الفن الحضري الذي عرفته المدن في اللهجة والأداء والآلات الموسيقية.

وللإشارة هناك من يُطلق على القصيدة الشعبية خصوصا البدوية منها بقصيدة **"الملحون"** وقد تعددت دلالة هذا المصطلح لتعبر عن اللحن اللغوي أي عدم احترام القصيدة لقواعد الإعراب، وذهب آخرون إلى أن مصطلح ملحون مرتبط باللحن الموسيقي وتوجه القصيدة إلى الغنائية، ويذهب البعض إلى تسمية هذا النمط الشعري بالشعر الشعبي الملحون، وأما المختصون في الأدب الشعبي يفضلون استخدام مصطلح **"الشعر الشعبي"** للدلالة على كل الأشعار المكتوبة بالعربية الدارجة في الوطن العربي تفاديا لكثرة المصطلحات من بلد لآخر، وباعتبار أن أشكال التعبير في الأدب الشعبي هي نفسها في الأدب الرسمي، ومصطلح **"شعبي"** هو الذي يميز بين الأدبين ومنه القصة الشعبية والمثل الشعبي واللغز الشعبي والسيرة الشعبية...

والفنان الشيخ الميلودالفيالاري عميد الأغنية البدوية في منطقة الونشريس قد أعطى صورة راقية عن الفن البدوي بزيه الأصيل النابع من أصالة المنطقة وعراقتها، وخصوصا أنه ينتقي من الشعراء القصائد ذات القيمة الهادفة التي تنم عن ثقافتهم الواسعة والملتزمة مثل الدعوة إلى حب الوالدين، والتوسل إلى الله ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، والحث على الصلاة، وتمجيد الوطن.

والمتأمل للقصائد التي أداها الشيخ الميلود يلاحظ ذلك الالتزام الذي يطبع فنه، فهو يؤدي مواضيع ذات قيمة أخلاقية ودينية ووطنية وهي من شيم الفنانين الذين يتخذون من فنهم وسيلة للتربية والتعبير عن الهوية والانتماء وليس للتسلية وكسب المال والمتعة، وفي هذا الصدد يقول هردر: "إنني أري الشعر عامة إنتاج جماعي وإنتاج شعبي يتطلب آذانا كثيرة لتسمع، وحناجر كثيرة لتردد، وقد ظل الشعر يعيش في آذان الشعب وعلى شفاهه يحفظ لنا التاريخ والأحداث والأسرار والمعجزات"[6]. ولطالما تلازم الشعر مع الغناء، إذ لا يمكن تجاهل الدور الذي لعبته الأغنية في حفظ القصائد الشعرية، وحفظ مضامينها الاجتماعية والثقافية والسيكولوجية والتاريخية، وقد أسهمت هذه الأشعار في تهذيب اللسان والارتقاء باللغة الشعبية.

القيم الدينية والتربوية في فن الشيخ الميلودالفيالاري:

ظل عميد الأغنية البدوية في منطقة الونشريسيلح على أدائه لما يكتبه الشعراء فيموضوع المديح الديني والتضرع لله تعالى وتذكر الموت وبر الوالدين،ولم يخرج عن تقاليد الكتابة الشعبية المعروفة بثنائية الفواتح والخواتم أو ما يسمى بالنسبة للبداية المطلع أو الاستهلال، والنهاية بالختام، والتي تبدأ بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله، وهو تبرك محمود يزيد النص حلاوة وإقبالا وفيه دعوة للإنصات لما سيأتي، وهذا ما أُثِر عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الكلام الذي لا يبدأ بالبسملة أبتر،فتكون القصيدة الشعبية المغناة بهذا الشكل شبيهة بالخطبة أو الرسالة التي لها تقاليد معينة في كتابة البداية والنهاية، يزيدها بهاء الوزن والإيقاع والصورة الشعرية المعبرة ومن أمثلة ما أداه الشيخ الميلودلقصيدة مجهولة المؤلف وهي بعنوان:"حب الوالدين:

باسم الإله خالقي عظيم الشان — سميع وبصير ربي العالمين
والصلاة على النبي شارح الاديان — محمد الهاشمي جد الحسنين

وفي قصيدة "ليلة القبر" يبدأ قصيدته بما يلي:

بديت باسم الجبار الواحد القهار — هو عالم الأسرار ماخفاتو خفيا
ونهنو بالصلاة على إمام الفضلا — وصاحب الرسالة خاتم الأنبيا

وفي قصيدة "وفاة الرسول" يقول:

صلوا وسلموا على رسول الله — محمد سيدنا شفيع المذنبين
يوم مات ما صرا في عباد الله — قصة تشيب الصغار والمرضعين

من خلال هذه العينة من المقاطع الافتتاحية لقصائد مختلفة نلمح أثر الثقافة الدينية المتأصلة في الشعراء الشعبيين فيحدث بذلك أشد التأثير في المتلقي، وظاهرة ثنائية الفواتح والخواتم التي تبتدئ بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة في الشعر الشعبي الجزائري البدوي والحضري، وهو تقليد موروث يحرص شعراء الملحون على المحافظة عليه وفي مختلف أغراض الشعر الشعبي الملحون كالمديح والغزل والقصص والشعر الثوري، وهذا يدل على تمسك الجزائري بدينه وتبركه المحمود بذكر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأصالة الفن الجزائري عندما يؤدي رسالة ذات قيمة في المجتمع، وأصالة الشيخ الميلود ابن الونشريس الذي يحرص على ترصُّد الكلمة الموزونة المعبرة من أفواه قائليها والتي تهذب الذوق وتدعو إلى توحيد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على نبيه، فيحق لنا بعد ذلك أن نصفه بالفنان الملتزم.

ومن المواضيع التي تناولها الفنان **التوسل إلى الله وطلب التوبة** له وللجميع وقد خص بالذكر الشباب بقوله في قصيدة الشاعر الشيخ "**محمد صفراني**" وهي بعنوان"**ياخالقي تُوبْ عليَّ**"

وطلبتـــك يا خـــالقي تـــوب عليَّـــا ... ويا غفـار الـذنوب تغفـر لـي مـا فـات
وطلبتـــك يا خـــالقي تـــوب عليَّـــا ... زيـــن فعلـــي نـــدير غيـــر الحســـنات
وتبعتـــو يا الصـــغار حاجـــة دونيـــا ... ذي خدمـــة راقـــدة مـــا فيهـــا خصـــلات
وراكـــم تبعتـــو طريـــق الجاهليـــا ... وتعبـــــدو غيـــــر العصـــــاة
و يا ربـــــي لا تجيبنـــــا فالـــــدونيا ... وانـــت فينـــا حلـــيم غفـــار الســـيئات
ونطلـــب ربـــي تســـلكو مـــن البَلِيَّـــا ... وتقلبنـــا للطريـــق كيمـــا دهـــر فـــات

يتضرع الشاعر الشيخ "محمد صفراني" في القصيدة بالدعاء طالبا المغفرة من المولى عز وجل له وللجميع ويخص بالذكر الشباب وقد عبر عنهم بلفظة "الصغار" الذين حادوا عن الطاعات وتبعوا الأهواء والمعاصي، فيدعو لهم دعاء الأب لأبنائه وينصحهم الشيخ الميلود بلحن شجي وصوت رخيم وكلمة مؤثرة علهم يفيقون من غفلتهم، فيكمل بذلك الفنان رسالة الشاعر، وينجح الفنان في إبلاغ رسالة الشاعر فيكون له دور المرشدالملتزم الذي يصلح بفنه وبمشاعر الأبوة الصادقة عله يحدث تغييرا حسنا، ومن ذكاء الشاعر وتواضعه أنه بدأ بطلب العفو والمغفرة لنفسه مبينا للمتلقي أنه ناصح وغير معصوم من الخطأ، وحتى لا يجعل لنفسه مرتبة عليا تشعر الشباب الذين وجه لهم النصيحة بالنقص والتأذي، وهو أسلوب حكيم ينم عن حكمة وتجربة يتمتع بها الشاعر محمد صفراني والفنان الشيخ الميلود.

ودائما مع المواضيع الدينية التي تطبع فنه يؤدي الشيخ الميلود أغنية بدوية وقصيدة لأحد الشعراء عنوانها **"ليلة القبر"** يسافر من خلالها إلى عالم الأموات ويرثي فيها نفسه، ويتصور ما سيحدث له عندما يفارق الحياة يقول فيها بعد البسملة والصلاة على الرسول:

واســمعوا يا حضــار نعيــد لكــم مــا صــار ... علــى ليلــة القبــر مــا أعظمهــا ليلــة
وانا ضـعيف الحالـة مضـيع فـي الصـلاة ... عـالم كـل مسـالة نفسـي لعبـت بيـا
في يوم يوفى أجلي اسمعوا كي يصرا لـي ... الأحبـاب كـل قبـالي والشـمعة مقـديا
وفـي عشـايا مفتـونين والطلبـة مجمـوعين ... ويرتلـــوا فـــالمبين ويفصـــلوا فـــالآيا
وأنا بـــوذني نســـمع وبعينـــي نشَّـــفّع ... لا صـــوت باه نجمـــع ماساعفونيعضـــايا
وضـري جـاهم صـعيبمانفعني مـنهم طبيـب ... الاطبـــا جـــاهم صعيبماصابوشـــدوايا
مـرار علـي القـوت ماصـابش منـين يفـوت ... جـــاني ملـــك المـــوت وتلمـــس رجليـــا

ماتوا مثل الخشبة ولاوا مثل القصبة جوارحي زادوا عطبة وصلوا لركابيا
طعنت بطني ومشات وعلى قلبي رصات تهزني بالنوبات وعمات لي عينيا
خرجت روحي ومشات وتعرني بالساعات ما بقات ليا حياة فالدنيا الفانيا

نلمح عند الشاعر جرأة وقوة لا نجدها عند معظم الشعراء فقد تصور ما يحدث له بعد مماته في قصيدة مطولة وذكر تفاصيل دفن الميت وتغسيله ودخوله القبر وسؤاله، كل هذا الطرح لأجل أن يؤدي رسالته الشريفة، ونلمس عند الشيخ الميلود شجاعة كبيرة عند تأديته لهذه القصيدة غناءً و قبل تقمص دور الميت من خلال فنه النظيف في مجتمع فتنته الدنيا ولم يعد يذكر الموت النهاية الحتمية لكل البشر، وكان بإمكان الشاعر أن يتحدث عن الموت ومرارتها ومراحلها لكنه جعل من نفسه ميتا يكابد ويلات الموت وما بعدها، فهو يذكر نفسه أولا ثم يذكر غيره ، وهو لا يضع لنفسه مرتبة الناصح الذي يرى نفسه على صواب، وفي ذلك إثبات لما ورد سابقا عن تواضع الشعراء الشعبيين الملتزمين وسمو أخلاقهم. وموضوع القصيدة يذكرنا بقصيدة مالك بن الريب (641- ت 677م) الشاعر الأموي الذي رثى نفسه حين علم بدنو أجله[7] وهذا دليل على أن الشعر الشعبي لا يختلف في مواضيعه وفنيته ودلالاته عن الشعر الفصيح إلا في اللغة التي لا تحترم قواعد الإعراب.

وعن موضوع **حب الوالدين وطاعتهما**ينتقي الشيخ الميلود أجمل الأشعار التي قيلت عن حب الأم ورثائها وهي قصيدة لشاعر غير معروف،وهو بكل تأكيد يغني القصيدة التي تترجم مشاعره الدافقة بالحب والحنان تجاه والدته وحزنه الشديد لفراقها،جاء في القصيدة بعد البسملة والثناء والصلاة والسلام على الرسول:

وياسايلني اليوم حالي راه اشيان نَبْكي ونُبَكِي الناس السامعين
وحب الوالدين شاعلي نيران من فرقة اميمتي نبكي بالعين
وراهي تحت التراب عشرت لحقت العام كان سابقها مسكين
سابق فالعَزاء قدرة الرحمن حتى فالمقبرة وتجاوروا الاثنين
ببكايا مهزوم وهزمت الجيران راني مفصول كالطير بلا جنحين
ودعات لي في حياتها ولدي مضمان محفوظ من البلاء عليَّ سور حصين
وبدعوتها لا نخاف ولا ننهان طايع والديه يسلك فالدارين
ومن فرقة اميمتي حالي مشيان نتفكر كي طرت بيها يا فطين
داير يدي في يدها وانا فرحان ووقفت مع اميمتي فالحرمين
ووقفت معاها صحيح بالطاعة واحسان كيما أمرنا الصادق الأمين
وبالرحمة ندعي لها طول الزمان ندعي لاميمتي وجميع المسلمين
وكنت عليها عزيز كي ممو لعيان والا غبت عليها تتحير فالحين
وتطلب فالإله مولانا الرحمن تحفظ ولدي يكون من السالمين

يعزي الشاعر نفسه في وفاة والدته وفي الوقت ذاته ينبئ ويذكر السامعين بطاعة الوالدين وهم على قيد الحياة، وطاعة الوالدين من طاعة الله وعلى حد قول الشاعر "طايع والديه يسلك فالدارين" وقد فرضها الله على عباده وأوصى بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، ويطمئن نفسه لأنها كانت راضية عليه ودعواتها له لم تكن تنقطع، ويتذكر سفره مع أمه إلى البقاع المقدسة وأدائهما لمناسك الحج وهو في سعادة عارمة، وفي حقيقة الأمر ينصح بذكاء

المتلقي أن يسعد والديه وإن كان قادرا يسافر بهما إلى البقاع المقدسة لأن الشاعر يكفكف دمعه عندما يتذكر غبطته وهو مع الوالدة التي رضيت عنه ، هكذا هو الشاعر الشعبي والفنان الشيخ الميلود رغبتهما في صلاح المجتمع لا تنقطع وثقافتهما الدينية تؤهلهما لذلك وهو نهج المصلحين في المجتمعات الراقية التي تجعل من الفن والشعر وسيلة لذلك.

وكثيرة هي المواضيع القيمة التي يطرقها الشعراء ويؤديها الفنانون الملتزمون ومن بينها قصيدة لشاعر مجهول أبدع في وصف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ولا شك أن الشاعر قد نظمها من خلال قراءته لكتب السيرة النبوية وهي بعنوان **"في وصف الرسول"** يقول فيها:

حين نظرت الكتاب هاجوا لي الأفكار ... كأنه شفيع تاج المرسلين
محمد سيد فاطمة ماحي الأنظار ... تاج الرسلَ جد الحسن والحسين
ودعج العينين كحل مسبوغ الأشفار ... وبدر الخدود واجنة واقع الارنين
له غشوة تفوت نجمة الغرار ... وفي ليلة صاحية تلاقاو الفجرين
حواجب نونين عرقهم سطار ... وشفاف معكرة ثلجة فالسنين
مسبول الشعر زنجي واللحية تدوار ... ورد فاتح من الكمام فوق الوجنتين
مربوع القد لا بطول ولابقصار ... فاقع للشمس والقمر مطبوع الزين

يواصل الشاعر القصيدة ويذكر بنات وأبناء الرسول وزوجاته صلى الله عليه وعلى آله أجمعين في قصيدة مطولة، زادها حسنا وبهاء صوت الشيخ الميلود الرخيم الصادق والموسيقى المعبرة، ويؤكد أن مدحه للرسول واجب وفرض مادام حيا طمعا في شفاعته، وهذا دليل على ثقافة الشاعر الدينية الواسعة التي يريد أن يوصلها لجمهور المتلقين الذين قد يتعذر عليهم القراءة والمطالعة، ويوصلها الفنان الشيخ الميلود بدوره إلى أكبر شريحة من المجتمع الذين يترددون على الحلقات في الأسواق الأسبوعية وفي المحافل والمناسبات العائلية والدينية لتكون القصيدة الغنائية إضافة معرفية موثوقة، وبالتالي تسهم الأغنية البدوية الأصيلة في تثقيف المجتمع وتعريفه بشخص الرسول وآله صلوات الله عليهم وسلامه وصفاته الخَلقية كما جاء في الأثر، وكل من الشاعر والفنانيوجهان دعوة إلى حب الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته واتباع سيرته خير خلق العالمين صاحب الشفاعة يوم الدين.

الإشادةبحب الوطن من خلال فن الشيخ الميلودالفيالاري:

لطالما تغنى الشعراء الشعبيون بالثورة والوطن أثناء الاستعمار فكشفوا عن واقع الشعب وصوروا الظلم وسجلوا الانتصارات وبثوا الوعي في المجتمع "وقد نشأت الأغنية الثورية في المدن والقرى والأرياف، ولكن هذه الأخيرة هي أكثر المناطق التي عاشت فيها الجماهير الشعبية خلافا للمدينة التي كانت تسكنها نسبة قليلة من الجزائريين أثناء الاحتلال الفرنسي لبلادنا"[8] فقد حمل الشعراء الشعبيون والمداحون أو المغنون مسؤولية القضية الوطنية التي أوصلوها من قراهم ومداشرهم إلى أبعد الحدود عبروا من خلالها عن قضايا الأمة وجبروت المستعمر بصدق وإخلاص وثقة وإيمانا بالحرية "فالشعر الذي يدعو إلى الثورة، ويمهد لها، ويلهب نارها، ويسمع دويها، ويدفعها إلى الأمام دفعا ويخرجها من ظلام الظلم إلى ضياء الحق، ويجعل منها واقعا فعليا بعد أن كانت فكرة وحلما، هو الذي نسميه ـ ثورة الشعر ـ "[9].

ولما نالت الجزائر استقلالها تغنى الشعراء الشعبيون والفنانون بعظمة هذا الوطن، فبعدما كانوا يدعون إلى التضحية في سبيل الحرية ويصرخون في وجه المستعمر، صار همهم الدعوة إلى حبه والتفاني في خدمته، **وحب الوطن** حاضر خزائن الشعراء الشعبيين وفي رصيد الشاعر الفنان الشيخ الميلود، ومن واجبه أن يذكر الأجيال بالتضحيات التي عرفتها البلاد وهو الذي عاصر الاستعمار وويلاته ويجسد ذلك في **"قصيدة العلام"** التي كتبها الشاعر**"الشيخ الحاج سليمان بن عسكري"** قائلا:

يا ذا العـــلام ماتـــت عليـــك رجـــال يا ذا العـــلام وصـــفك فيـــه الـــدِّما
ووصـــاف دمهـــم كـــاين فـــالهلال ووصـــاف دمهـــم كاينفالنجمـــا
أرضـــك خضـــراء تبـــان نـــوار قـــدال بيضـــاء والخيـــرات الغانمـــا
بقـى فالحسـاب لا مـن يحصـيه شـحال ملايـــين الأبطـــال العظمـــا
ملايـــين مـــن البنـــات والأطفـــال ملايـــين الأبطـــال العظمـــا
مـــن الهمـــوم رفـــدوا منـــو الجِبـــال صـــبارين شـــجاعة متمومـــا
ملايـــين راحـــت مـــن كســـب المـــال نهبوهـــا الكفـــار القشـــاما
وعلـى العـلام هجـروا سـكنوا الجبـال ويا ذا العـــلام رفعـــوك الزعمـــا
وارواح نجـــاوبو بعـــد الســـؤال ورثـــوا القصـــور جنـــات الناعيمـــا

ان موضوع هذه القصيدة "العلم" وهو عزة الوطن وكرامته وقد مات لأجل أن يكون عاليا مرفرفا رجال، وحمرته دماؤهم وخضرته هي خيرات الوطن وبياضه هو الجمال الذي أودعه المولى على أرضه، وكثيرة هي الأغاني التي تشيد بالعلم لأنه يمثل روح الشعب وكيانهوهذه القصيدة دعوة صريحة لجيل الاستقلال في النهوض بالوطن الذي ذهب لأجله الغالي والنفيس من الخيرات والشهداء الذين ورثوا القصور وجنات النعيم على حد تعبيره، وقد فضح الشاعر الفنان السياسة الاستعمارية التي استنزفت ونهبت خيرات البلاد واصفا إياهم بالكفار الظلمة، فهو يدعو إلى الاعتزاز بالوطن والمحافظة عليه والنهوض به.

هذه الأشعار وليدة انفعال شعوري صادق عايشها الشاعر بأحداثها ووقائعها واكتملت هذه التجربة العاطفية ووصلت إلى الجمهور عندما صيغت في عمل فني راقٍ "فالشاعر خالق تجربته، ولابد أن يعاني فيها من حين تخَلُّقها في قلبه إلى حين اكتمالها يعاني في لغتها في معانيها وإيقاعها، يدفعه في ذلك في أول الأمر انفعال ملهم إزاء حقيقة من حقائق النفس أو حقائق الوجود، ويأخذ هذا الانفعال في التخلق والتولد عن طريق ما يحرك فيه من أحاسيس ويثير من أفكار وعواطف، وينقل ذلك في كلمات موسيقية لها دلالات عبر التاريخ[10].

الخاتمة:

هكذا استطاع الشعراء والفنانون بإبداعهم تأدية رسالة ذات قيمة تربوية ودينية في مجتمعاتهم فسجلوا التاريخ وحفظوه شعرا ليكون وثيقة تاريخية أرخت للثورة مسجلين الأحداث والانتصارات والانتكاسات، وكانت هذه دراسة سوسيو ثقافية جعلتنا نبحر في عالم الشعر الشعبي الممتزج بالألحان نفضنا عنه وعن مضامينه بعض الغبار، وللإشارة تناول فن الغناء البدوي شتى الأغراض كالمرأة والغزل بنوعيه الماجن والعفيف والهجاء والرثاء واللهو وأمور الدنيا وقضايا الوطن وغيرها من الأغراض مثله مثل الشعر الفصيح، لكننا أردنا أن نسلط الضوء على الفن الملتزم الذي لا يختلف قائله عن الواعظ الحكيم، وقد اخترنا الشيخ الميلود المكنى بالفيالاري وهو الاسم القديم لمدينة تيسمسيلت، وهو فنان يؤدي قصائد لشعراء يتقنون فن الكتابة إذ جعلوا اللغة الشعبية في أبهى صورها الشعرية، وأما عن الإشكالية المطروحة حول تلازم الفن البدوي بالقصيدة الشعبية واختيار الفنان الشيخ الميلود لمواضيع بعينها، هو رغبة الشعراء في تخليد شعرهم عن طريق الأغنية التي تصل إلى أكبر فئات المجتمع بمواضيع هادفة وتعليمية وتربوية، ويحيلنا ذلك إلى درجة الوعي والمسؤولية التي كان يتمتع بها الفنان، إذ لم يكن يختلف عن المعلم والمربي والمصلح، وهي الرسالة الحقيقية لمن وهبه الله موهبة الشعر والفن الذان يصلان إلى وجدان العامة ويحدثان التأثير والإعجاب،وللإشارةالقصائد التي تناولناها بالدراسة ليست مدونة إنما دونَّاها من السماع من الأغاني المسجلة، وللفنان الشيخ الميلودرصيد كبير من الأغاني تناول من خلالها قصائد لشعراء مغمورين في أغلب الأحيان توخى فيها حفاظه على الالتزام والكلمة المعبرة القوية نرجو أن تحظى بالدراسات والبحوث وبالأخص الاهتمام بالفنون والموروث الشعبي والتراثي حفظا للهوية والوطن لأن هذه الفنون في طريقها إلى الزوال.

الهوامش:

1إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983، ص140.

2عبد القادر نطور،الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا، أطروحة دكتوراه،جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009،ص22،21.

3https //www.reuters.com تاريخ الولوج مارس 2022.

4نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، مصر،ط3، دت، ص251.

5فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008، ص170.

6رابح بونار، الشعر الشعبي وتطوره الفني، مجلة آمال، العدد 68، الجزائر، 1969، ص09.

7ينظر: ديوان مالك بن الريب حياته وشعره، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 15، ج1، ط1،دت

8عبد الله الركيبي،الشعر الديني الجزائري الحديث، شو ن ت، الجزائر، ط1، 1971، ص364.

9إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1985، ص37.

10شوقي ضيف،في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة،ط9، دت، ص143.

المصادر والمراجع:

1- إبراهيم رماني، أوراق في النقد الأدبي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، ط1، 1985.

2- إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.

3- رابح بونار، الشعر الشعبي وتطوره الفني، مجلة آمال، العدد 68، الجزائر، 1969.

4- شوقي ضيف،في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة،ط9، دت.

5- عبد القادر نطور،الأغنية الشعبية في الجزائر منطقة الشرق الجزائري نموذجا، أطروحة دكتوراه،جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009.

6- عبد الله الركيبي،الشعر الديني الجزائري الحديث، شو ن ت، الجزائر، ط1، 1971.

7- فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2008.

8- مالك بن الريب، ديوان مالك بن الريب، تحقيق: نوري حمودي القيسي، مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 15، ج1، دت

9- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، مصر،ط3، دت.